١٣- باحثة البادية

(ملك حفني ناصف)

(أكتب اسم باحثة البادية ، فيتمثل لناظري ذلك الثغر البسام ، و ذلك الوجه ذو السمرة المصرية العذبة ، و أسمع صوتها الحنون مرددًا كلمات حلوة اللفظ لطيفة المعنى) .

تلك هي الكلمات التي كتبتها الأديبة الشهيرة مي زيادة في رثاء صديقتها ملك حفني ناصف أو باحثة البادية ، إحدى رائدات الإصلاح الاجتماعي في مصر و العالم العربي ، وواحدة من أعلام الحركة الثقافية النسائية ، نذرت نفسها للدفاع عن حقوق المرأة داعية إلى تحريرها .

في حي الجمالية بالقاهرة ، وفي الخامس و العشرين من ديسمبر عام ١٨٨٦م ولدت ملك حفني ناصف ، وشاء القدر أن يتفق يوم مولدها مع زفاف الأميرة ملك إلى الأمير (حسين كامل) الذي أصبح سلطانًا فيما بعد فسميت باسم الأميرة ملك .

نشأت ملك في بيت علم و أدب ، فوالدها هو الأديب الكبير حفني ناصف أحد أعلام الأدب و اللغة و القضاء في مصر التحقت ملك بالمدرسة السنية ، و هي المدرسة الوحيدة التي كانت آنذاك لتعليم البنات في مصر ، و حصلت منها علي الشهادة الابتدائية سنة **١٩٠٠م** ، و هي أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات للحصول على هذه الشهادة، فكانت ملك هي أول فتاة تحصل عليها بتفوق ، ثم انتقلت إلى القسم العالي بالمدرسة ، وتفوقت على زميلاتها و حصلت علي شهادتها في التعليم العالي وهي الدبلوم ، فعينتها وزارة التعليم معلمة ممتازة في مدارس البنات الأميرية .

منذ صغرها كانت ملك تتحمل مسئولية أسرتها ، إذ كانت هي الابنة الكبرى ، فكانت تتولى شئون الأسرة بعد مرض والدتها .

في سنة **١٩٠٧م** تزوجت ملك من عبد الستار الباسل رئيس قبيلة الرماح بالفيوم ، التي كانت وقتها تسمى بادية الفيوم ، و منها أخذت ملك لقبها فسميت باحثة البادية .

كانت ملك تقوم بأعمال المنزل بنفسها ، و في أوقات فراغها تقرأ الكتب ، و تقوم بزيارة مدارس البنات ، وبيوت القرويات لتقنعهن بإرسال بناتهن إلى المدارس .

كان التعليم هو العصا السحرية التي لمست بها ملك حفني ناصف الريف فسكنه التحضر .

أسست ملك جمعية الاتحاد النسائي ، وكانت تضم الكثيرات من نساء مصر و البلاد العربية ، كما أسست جمعية التمريض علي غرار الصليب الأحمر ، كانت نواة لتأسيس الهلال الأحمر المصري ، و كانت ترسل الأدوية و الملابس و الأغذية إلى الجهات التي تحتاج لمساعدة في مصر و البلاد العربية ، وقامت بحياكة مائة بدلة كاملة للهلال المصري ، كما جمعت التبرعات لمنكوبي طرابلس، وعندما تم الإعلان عن إحياء مشروع الجامعة المصرية شكلت ملك لجنة لجمع التبرعات .

تعلمت ملك اللغتين الإنجليزية و الفرنسية و أتقنتهما بجانب عشقها لقراءة الأدب و الشعر العربي ، فكانت تحفظ الشعر و تكتبه أيضًا ، و أول قصيدة نشرتها في جريدة المؤيد التي كان يرأس تحريرها الشيخ علي يوسف ، قالت في أبياتها :

إن الفتاة حديقة و حياؤها

كالماء موقوفًا عليه بقاؤها

بفروعها تجري الحياة فتكتسي

كتبت باحثة البادية سلسلة من المقالات التي كانت تدعو فيها إلى ضرورة تعليم المرأة ، فالتعليم هو الوسيلة الوحيدة لتحرير عقلها و بناء أسرة سعيدة ، و نشرت هذه المقالات في الجريدة التي كان يرأس تحريرها أحمد لطفي السيد ، كما جمعتها في كتاب بعنوان (النسائيات) نشر عام ١٩١٠ ميلادية .

كانت باحثة البادية خطيبة بارعة تلقي المحاضرات في الجامعة المصرية و الجمعيات النسائية ، داعية إلى تحرير المرأة وضرورة تعليمها ، وكان لها أسلوب يؤثر في نفوس سامعيها .

كان أعظم ما ساهمت به ملك حفني ناصف كرائدة نسائية الورقة التي قدمتها لمؤتمر مصري عن مقترحاتها حول النهوض بالمرأة ، كما أنشأت العديد من المدارس الابتدائية و الثانوية الخاصة بالفتيات ، وفتحت المجال للنساء لتعلم الطب .

طالبت باحثة البادية بإنشاء معاهد لإعداد المعلمات لتتولى المرأة مهمة تعليم البنات في مصر .

لم تمتد حياة ملك حفني ناصف طويلاً فرحلت في ١٧ أكتوبر ١٩١٨م عن ٣٢ عامًا .

عاشت ملك حياة قصيرة بحسابات الأيام و السنين ، ولكنها غنية بالعطاء ، وبمقدار ما قدمته من إنجازات من أجل نهضة المرأة و المجتمع .

obeikandl.com